٣٦
لواء الحمد
مجلة علمية نصف سنوية تعني بالمعارف الإسلامية
السنة الخامسة ـ العدد التاسع (صفر ـ رجب ١٤٤٦)

تحديد المضارّ المحتملة في التربية المهدوية

د. خسرو باقري

الخلاصة: يوضح الكاتب فى هذا المقال، حالتين من باتولوجى التربية المهدويّة و يشرح طريقة التخلص منه. المحور الاوّل، باتولوجى تسييج و كسره و طريقة التخلّص منه، هو معرفة الحدود. والمحور الثانى، الكماليّة، أى غير الواقعيّة و طريق التخلّص منه، هى الاهمال.

المفردات المفتاحيّة: التربية المهدويّة؛ الباتولوجى؛ تسييج و كسر التسييج؛ الكماليّة؛ الاهمال.

المقدّمة

تحديد وتشخيص الأضرار التي (قد) ترد علىٰ العقيدة المهدوية يمثّل أحد المصاديق لبحث أكثر عمومية منه، وهو المسمّىٰ بتشخيص المضارّ والمعايب الواردة علىٰ التربية الدينيّة. ولإيضاح المراد من تحديد وتشخيص المضارّ الواردة علىٰ التربية المهدويّة، لابدّ من الإشارة الى المناحي التربوية في العقيدة المهدويّة.

إنّ الاعتقاد والإيمان بوجود وحتميّة ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يعتبر من جملة المعتقدات الإسلامية والشيعيّة، وكذا هي سائر أجزاء هذا المعتقد، تشملها لوازم تربوية معيّنة، وعلى هذا الأساس، فإنّ (المهدويّة) ليست مجرّد مسألة اعتقاديّة، وإنما هي ذات بُعد تربويٍّ كذلک... فحينما ننتهي - بناءً على النصوص الروائيّة - أنّ الاعتقاد بوجود وظهور الإمام المهدي المنتظر عليه السلام أمرٌ ضروري، نكون قد وفّرنا مجموعة معرفية للأفراد... ولكن حينما تتسبّب هذه المجموعة المعرفية بتغيّرات و اضطرابات و هيجان عاطفي و عملي معيّن، و ينتهي الحال بالأفراد إلىٰ السعي نحو الاستعداد لنصرة الإمام المهدي عليه السلام.. هنالك تتجلّىٰ الوجهة التربوية في العقيدة المهدوية.

و بالنظر الىٰ الوجهة التربوية المهدوّية، نلتفت إلىٰ المراد من مسألة تحديد وتشخيص المضارّ اللاحقة.. وهنا يكون هذا الأمر حاكياً عن مراجعة لموارد سوء الاستنتاج أو سوء السلوك ضمن التيار التربوي للعقيدة المهدوية. فما هو مرتبط بذات الدين المشتمل علىٰ العقيدة المهدوية، لا يمكن الحديث عن الضرر وتشخيص الضرر والعيب.. ولكن فيما يتّصل بتيار التربية الدينية المشتمل علىٰ البُعد التربوي للمهدوية، فإنه سيتجلّىٰ احتمال وإمكانية ظهور الضرر؛ و بالتالي تترتب مسألة تحديد وتشخيص المضار.. إذ لدىٰ مسار التربية الدينية، تكون يد الإنسان مبسوطة، وهو الآن مكلّف - بالفهم والإدراك الذي استلهمه في الدين- بأن يفعّل ويحقّق ما استلهم واستنتج... و لدىٰ طيّ هذا المسار - يجد الفرد نفسه وبما يمتاز من أفق قصير ونظرة ضيّقة وسوء فهم متورطاً محاطاً بما ينمّيه في داخله من المضارّ والمحدودية في همّته و سوء السلوك والتصرّف...

ومن هنا؛ كانت مسألة تحديد وتشخيص المضارّ والمعايب (البائولوجيا) التربوية في الموقف من العقيدة المهدويّة؛ مشروعاً لقراءة لازمة لهكذا انزلاقات فكريّة وعمليّة ضمن تيار تكريس البعد التربوي في العقيدة المهدويّة.

ولكن كما تمّت الإشارة إليه، فإنّ تحديد المضارّ والمعايب التربويّة الذي يعتبر بحدّ ذاته من جملة البحث الأكثر اتساعاً، وأعني به ضرورة تحديد وتشخيص المعايب والمضارّ على مستوى الدين والاسلام. وبعبارة أخرى؛ إنّ جميع أنواع تحديد المضارّ في التربية الدينية، يصدق في كلّ واحد من موارده، وبهذا؛ تكون العلاقة بين تحديد المضارّ والمعايب في التربية الدينية وبين تحديد المضارّ التربويّة في العقيدة المهدوية علاقة كلّيّة وجزئيّة، بمعنىٰ أنّ ما يصدق بشكل عامّ في المورد الأول سيصدق بنحو جزئي ومصداقي في المورد الثاني أيضاً...

وعلى هذا الأساس؛ يلزم أن يكون إطار تحديد المضارّ في التربية المهدوية بحسب الإطار العامّ لتحديد مضارّ التربية الدينية الإسلامية. وقد اقترح المؤلّف و ضمن مقالة تحت عنوان (الضرر والسلامة في التربية الدينيّة) إطاراً كلّيّاً للبحث.[1]

وفي المقالة هذي، وبمبنىٰ الوضع في الإطار المذكور سنتناول في مورد المهدويّة الخاصّ بحثاً عن تحديد المضارّ التربويّة. وفي إطار هذا المبنىٰ سيكون تحديد المضارّ علىٰ مستوىٰ التربية الدينية ضمن سبعة محاور، وكلّ واحد من هذه المحاور له جهتان؛ الانحراف والضرر، و ثَمّ حدٌّ متوسّط بمنزلة ميزان وموثّر للسلامة.. وهنا؛ سيذكر فهرست للمحاور المشار إليها... وفي متن المقالة، و ضمن إشارة مقتضبة بخصوص توضيح كلّ منها، ستعرض وثائق ودلائل بخصوص البحث الأصلي لهذه الدراسة، أعني: المهدوية.

وأدناه؛ المحاور الأصلية لتحديد مضارّ التربية الدينيّة:

١- الأضرار: ترتيب أشكال الحصار، وكسر الحصار؛ السلامة: معرفة الحدود.

٢-الأضرار: السير نحو الكمال (غير الواقعية) و المماطلة؛ السلامة، التساهل.

٣- الأضرار: الانفصال والمتابعة؛ السلامة: الهداية.

---

١. قدمت هذه المقالة في الملتقى المنعقد تحت عنوان: معرفة المضار في التربية الدينية.

٤- الأضرار: تربية المريدين والتابعين؛ السلامة: الهداية.

٥- الأضرار: القشرية والعقلنة؛ السلامة: التعقّل.

٦- الأضرار: تأليف الخرافات وهتك الاسرار؛ السلامة: تصديق الحقّ.

٧- الأضرار: الميل الىٰ الاستئثار و التكاثر؛ السلامة: الميل إلىٰ الحقيقة والترتيب.

المحور الأول: مضارّ ترتيب الحصار وكسر الحصار؛ السلامة: معرفة الحدود

إشارة: في هذا المحور يتمّ تناول المضارّ التربوية في بُعدين متقابلين؛ ترتيب الحصار و كسر الحصار. في الأوّل ينظر إلىٰ مؤشر السلوك الإساس للتربية الدينية للأفراد، ونظرتهم البعيدة الشاملة إلىٰ ما هو صواب وغير صواب.. وهذا الاسلوب - التحديد والتعريف - أحد مناشىء طرد المضارّ والعيوب.. إذ بمنعهم عن مواجهة المساوئ وما هو غير صائب سيتكرّس فيهم العجز عن المقاومة. فيما التحديد والحبس إنما هو مسموح بصورة مؤقّتة، وهو مقبول في بعض المراحل الأوّلية للتربية... أما جعله أسلوباً تربوياً ثابتاً؛ فهو بحكم تبديله إلى أحد العوامل المسبّبة للمضارّ. ومن جهة أخرىٰ؛ إنّ كسر الحصار ووضع الأفراد في مواجهة التيارات الفكرية والعملية المختلفة، ومن دون توفير و إحراز القدرة والقابليّة علىٰ الاستنتاج والمقاومة، فإنّه يكون منشأً لجلب المضارّ والمعايب.

إن حالة السلامة في التربية الدينيّة تتجسّد في تعريف الحدود، إذ أنّ هذا الأمر بمثابة أحد العوامل الناجعة في التربية الدينية، وهو حاكٍ عن ضرورة المثول ضمن تيار الحياة الطبيعية لدىٰ مواجهة المساوئ و الأخطاء. و يؤدّي إلىٰ القدرة علىٰ التبيّن والتفكيك بين الصواب والخطأ والحسن والقبيح بشكل استدلالي في الأفراد، و بهذه الشاكلة فتوفّر أرضية ضبط الميول والرغبات نحو المساوئ والأخطاء والسقطات.. إنّ معرفة و تشخيص الحدود أمر ملازمة للتّقوىٰ، لا أن يُبحث عن التقوىٰ والزهد والحصانة في خضم الدور والمنصب، ولا المصونية في الحبس...

وبالنظر إلىٰ الإطار الكلّي للمضار والسلامة في هذا المحور، سنتناوله بشكل خاصّ فيما يرتبط بالعقيدة والثقافة المهدويّة. وعلى هذا الأساس، يكون الانتفاع من الثقافة المهدوية بما يتعلّق بالتربية طارداً للمعايب والمضارّ فى جهتين؛ حين يكون فهمنا في

ظلال هذا الأصل العقائدي والعملي بشكل يتجلّىٰ فيه ترتيب الحصار والحصانة، وحين ينتهي بنا الأمر إلىٰ كسر المحاصرة.

في الشكل الأوّل من طرد المعايب والمضارّ يتوفّر التصوّر والاستنتاج المباشر من العقيدة المهدويّة وانتظار الإمام المهدي الموعود عجّل الله تعالىٰ فرجه الشريف، بمعنى اصطفاف الحق والباطل؛ كلّ بأتباعه حتىٰ يحين الظهور المبارك فيضمحلّ الباطل ويزهق. و إذ ذاك يلزم اتّباع الحقّ الانفصال والبراءة من اتباع الباطل - ورموزه - فـ (ينتظرون) حتىٰ تحين لحظة الحسم... ولدىٰ هذا التصوّر تكون مرحلة الغيبة بمثابة (غرفة انتظار) ينبغي فيها الابتعاد عن أهل الباطل وانتظار مجيء صاحب الأمر عليه السلام ليحسم القضيّة برمّتها... فيكون جهد الأفراد الجهيد النأي بأنفسهم صونها من أهل الباطل... وبهذا الفهم للمهدويّة تتجلّىٰ مسألة الحبس التربوي، حيث يجهد الأفراد في الابتعاد عن ساحة الصراع والمواجهة؛ مصحوباً بالانتظار الانفعالي لضمان السلامة...

إنّ هذه العاقبة التربويّة تشير إلىٰ شكل من أشكال طرد المضارّ في التربية، إذ أنّ منطق ترتيب الحصار حاكم عليها، وهو عبارة عن مضاعفة احتمال التعرض للضرر في الفرد عن طريق النأي بالنفس عن المواجهة... و لكنّ محاولة طرد الضرر هذا ناشيء عن نفسه عن سوء واعوجاج الفهم للمهدوية... فإذا كانت المهدوية ناظرة إلي حتمية غلبة الحق للباطل، فينبغي أن تكون هذه الغلبة تحت مظلّة القانون العام في المواجهة بين الحق والباطل.. ولدىٰ مواجهة الباطل حيث يكون الحقّ هو الغالب... ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[1]

ولطالما صوّرت الروايات المعصوميّة المسألة المهدوية ضمن أجواء الانفتاح، أي لدىٰ المواجهة بين الحقّ والباطل، دون تصويرها حبيسة القيود والمفاهيم الجامدة المتكلّسة.. و حسب عبارات الروايات الواردة أدناه، فإنّ المؤمنين في عصر الغيبة كراكبي سفينة تتقاذفها الأمواج تأخذهم ذات اليمين وذات الشمال.. وهم يواجهون رايات الضلال الدافعة إلىٰ السقوط في الأخطاء والشبهات، فكان لابدّ لهم من بصيرة نافذة يميّزون

١. الأنبياء: ١٨.

بها راية الامام المهدي عليه السلام من رايات الضلال... وفي مثل هذه الحالة من الصراع يلتزم المؤمن أن يحفظ ويحتفظ بايمانه الواعي؛ ولا حبسَ للعقيدة المهدوية ولا حبس للمؤمن بها فى البين..

كما يقول المفضّل بن عمر الجعفي: سمعت الشيخ - يعني أباعبدالله الصادق عليه السلام - يقول: «إيّاكم والتنويه. أما والله ليغيبنّ سبتاً من دهركم وليخملنّ حتىٰ يقال: مات ؟ هلك؟ بأيّ وادٍ سلك ؟ ولتدمعنّ عليه عيون المؤمنين، وليكفانّ تكفأ السفينة في أمواج البحر؛ فلا ينجو إلّا مَن أخذ الله ميثاقه وكتب في قلبه الإيمان و أيّده بروحٍ منه، ولترفعنّ اثنتا عشرة مشتبهة؛ لا يدرىٰ أيٌّ من أيٍّ. قال: فبكيت ثمّ قلت له: كيف نصنع؟ فقال: يا أباعبدالله - ثم نظر إلى شمس داخلة في الصفّة - أترىٰ هذه الشمس؟ فقلت: نعم. فقال: لأمرنا أبين من هذه الشمس»[1]

لدىٰ جواب الإمام عليه السلام في هذه الرواية الكريمة صارت -معرفة الحدود - منجىً، وبالنظر إلىٰ خلفيّة الكلام، وهي كثرة التقلّبات وظهور رايات الضلال، يكون الجواب موضّحاً أنّ من يتعرّف الىٰ حدود الحق وحدود الباطل و يميّز النور في الظلام، تيسّر لديه تبيّن الطريق و الحركة...

وفي هذا السياق، ثَمّ روايات عديدة تحكي عن أنّ في عصر الغيبة ستحصل امتحانات عسيرة ومصاعب جمّة، وكمثال ما ورد عن جابر الجعفي رضوان الله عليه حيث قال:

«قلت لأبي جعفر عليه السلام: حتىٰ يكون فرجكم؟ فقال: هيهات! هيهات! لا يكون فرجنا حتىٰ تَغربلوا ثُمّ تُغربلوا - يقولها ثلاثاً - حتىٰ يذهب الله تعالىٰ الكدر ويبقىٰ الصفو».[2]

فكما تشير العبارة أعلاه، فإنّ عصر الغيبة هو عصر المواجهة للحالات والأحداث العسيرة والاختبارات الصعبة، والتي تتضمّن وتُنتج الغَربلة بمعنىٰ أنّ كلّ فرد لا يسعه النّجاح في تلكم الاختبارات. وعلى هذا؛ فانّ تصوّر السلامة في حصن حفيظ ومداهنة

١. الغيبة للنعماني، ص٢١٨-٢١٩.
٢. منتخب الأثر، ص٣٨٩.

المصاعب والمصونية في الاصطكاك والمواجهة تصوّر مردود ولا مكان له في قاموس المهدوية والثقافة المهدوية.

الشكل الثاني من الانتهاء إلى المضارّ؛ أنه في مقابل درجات الحصار يتجلّى أمر كسر الحصار والقيود، في حين أنّ ترتيب الحصار يجعل حدوداً حديدية، وإنّ في تعظيم القيود تُزاح كلّ الحدود، وإنّ الحاكم سيكون عدم الحدود.. وحاصل هذا الأمر، ظهور اختلاط المفاهيم وتشابك رؤىٰ الحق وضلالات الباطل.. و حصول الضرر يعني أنّ جهود كسر الحصار في التربية الدينيّة تؤدّي إلىٰ تقديم الخطأ و الصواب دفعة واحدة إلىٰ الفرد المقصود بالتربية والخاضع لها، وهذا النوع فى التقديم السلبي الضارّ لا يؤدّي ولا يهدي إلى الرشاد، بل وسينتهي بالفرد إلىٰ التسمّم والهلاك.

ونموذج هذا الانعدام في الحدود والالتقاط والاختلاط في الساحة المهدوية أنّ أفراداً ومجاميع سيعتنقون الفكرة الضالّة القائلة بعدم وجود شخص بعينة يسمّىٰ المهدي.. بمقدار ما هو شعار وفكرة عامّة يراد بها الإشارة إلىٰ عاقبة الصراع بين الحق والباطل وانتصار الأول على الثاني.. وأنّه من الممكن أن يكون أيّ فرد، بلا تسمية وتشخيص مصداقاً لمن يدعىٰ بالمهدي.

و في الروايات الخاصّة والمتعلقة بالمهدوية ينظر إلى كسر الحصار هذا بالسلب دون الإيجاب؛ وعلىٰ هذا؛ فإنّه قد جرىٰ التأكيد على هذه المسألة في روايات عديدة، وهي أنّ المهدي هو شخص بعينه.. مثال ذلك ما روي عن النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله انه قال: «المهدي رجلٌ من عترتي؛ يقاتل علىٰ سنّتي كما قاتلتُ أنا علىٰ الوحي»[1]

وفي هذا السياق؛ وفي روايات أخرىٰ، جرت الإشارة إلىٰ أنّ المهدي عجل الله تعالىٰ فرجه من أولاد الإمام عليٍّ وفاطمة الزهراء عليهما السلام و.....[2]

١. يتابع المودّة نقلاً عن منتخب الأثر، ص٢٣٢.
٢. منتخب الأثر، الفصل الثاني.

ولـم يُكتـفَ بالإشـارة الـى هـذه المسـألة، وهـي ضـرورة الاعتقـاد والإيمـان بـأنّ المهـدي عليه السلام شـخص محـدّد مشـخّص، وأنّ الله تعالىٰ سـينصر الحق والعدل علىٰ يديه وأنّـه هـو مـن يكلّـف بحاكميـة الرسـالة المحمديّـة، بـل وبشـكل عـامّ ينبغـي فـي عصـر الغيبـة إجراء قراءة جديدة للديـن وتعاليمه الأصيلة... وهـذا الأمر يشـير إلىٰ عـدم صحّة الخلط بيـن الحق والباطل في عصر الغيبـة تبعاً للامبـالاة الحاصلـة.. وكمثـال: ثَـمّ روايـة جديـدة بالتأمـل:

روىٰ علي بن جعفر عن أخيه الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام أنه قال: «إذا فقد الخامس من ولد السابع؛ فالله الله في أديانكم؛ لا يزيلنّكم عنها، فإنّه لابدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة حتىٰ يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنّما هي محنة من الله يمتحن الله بها خلقه...».[1]

إن عبارة «الله الله في أديانكم» في هذه الرواية.. كلامُ تأكيدٍ علىٰ أهميّة تحديث قراءة التعاليم الدينية الأصيلة في عصر الغيبة. وعلى هذا الأساس، فإنّ إزاحة الحدود بين الحق والباطل والخلط بينهما، يمثّل أحد الانحرافات والانزلاقات التي يمكن أن تحصل بخصوص المهدويّة..

وبهذا الترتيب، فإنّ من الواضح أنّ كلا شكلي حصول الضرر، أي: الحصرو كسر الحصر في الساحة المهدويّة مردودان. وحالة السلامة في البحث بعيدة عن الشّكلين المذكورين من الضرر، حيث تكون معرفة وتحديد الحدود... فمعرفة الحدود مع قبول العلاقة متفاوتة عن ترتيب الحصار، وبرفض الخلط والالتقاط يتميّز كسر الحصار.. إنّ معرفة الحدود خيار واضح في التربية الدينية، ويستلزم أن يكون الفرد في قلب الحدث، ثمّ إنّ القرارة الجديدة لمعرفة الحدود يتميّز الصواب من غيره... والتربية بهذه الصورة تكون - على وجه الدقّة - مثل تعليم المشي و الحركة في ساحة الألغام.. وذلك أنّ المشي على حافّة الطريق لا تتطلّب فنًّا وموهبة وتعليماً.. ولكنّ المسألة هي أنّ التربية الدينية والمهدوية لا حافّة طريق فيها، بل هي مشي في ساحة ألغام ولا يمكن قطع مسافتها بيسر.

١. الغيبة للنعماني، ص٢١٠ – ٢١٩.

ومن جهة أخرىٰ، فإنّ الهرولة والركض في هذه الساحة بمثابة الانتحار.. و إنّما يتسنّىٰ ذلك؛ بتعلّم معرفة خطّ العبور والتحرّك وفق هذا التعلّم..

ورغم أنّ الخروج من الحبس وخوض المواجهة والمعترك أمر مستصعب، ولكن الفرد بمعرفة الحدود ومرافقة هذه الحدود تحرزان للفرد القابلية والقدرة والحركة السليمة.. و في الرواية المذكورة أعلاه (في الهامش الثالث) وحيث يشير الإمام الصادق عليه السلام إلى أنّ حال المؤمنين في عصر الغيبة سيكون كحال راكبي السفينة التي تتقاذفها الأمواج .. رأينا الراوي يصاب بالفزع ويسأل الحيلة في ذلك والمنجىٰ.. و قد ورد في هذه الرواية:

«قال الراوي: فبكيتُ ثمّ قلت: كيف نصنع؟ فقال، بعد أن نظر إلىٰ شمس داخلة في الصُفّة: أترىٰ هذه الشمس؟ فقلت: نعم، فقال: لأمرُنا أبين من هذه الشمس».

إن حيازة التصوّر الصحيح عن المهدوية لها مداليلها التربوية الصحيحة.. فالتربية المهدويّة هي تربية في أجواء مفتوحة، و من هنا؛ فإنّ لازم هذا أن يحرص الأفراد علىٰ توفير القابلية في أنفسهم علىٰ تشخيص الحدود، وتوفير الاستعداد للمواجهة لدىٰ الاصطكاك الفكري والعملي.. ومعرفة وتشخيص وتمييز الحدود يشمل مواردَ عدة؛ من قبيل: معرفة الإمام المهدي عليه السلام كشخصٍ معيّن، ومعرفة رسالته في إقامة الحقّ والعدل، ومعرفة حقانية التعاليم الدينية الاسلامية التي سيأتي بها إلىٰ عالم عصر ظهوره الشريف، والتعرّف إلىٰ التيارات الفكريّة المختلفة الرافعة لشعار إقامة الحق والعدل في المجتمع البشري، وإحراز القابليّة علىٰ معرفة ميزان مصداقيتهم من عدمها، وكذا إحراز القدرة علىٰ فرض رؤاه الحقّة علىٰ تلك المفاهيم والمشاريع الضالّة والمضلّة.

إنّ تابع الإمام المهدي عليه السلام وبتربيته علىٰ العيش ضمن هكذا أجواء، سيبتعد عن الانتظار الانفعالي... وبداعي العلاقة الإيجابيّة والبناءة مع التيارات الفكرية الأخرى، سيتجلّىٰ الانتظار الصادق للظهور المهدوي العظيم... وهذا الانتظار الصادق يعني الإعداد والتمهيد الواعطي الأرضيّة الظهور المتوقّع في كلّ حين....

المحور الثاني - المضارّ، البحث على الكمال (غير الواقعية) والمماطلة؛ السلامة، التساهل...

إشارة: في هذا المحور، فيما يرتبط بالمضار التربوية الدينية، ثمّ قطبان؛ البحث عن الكمال بما لا يرتبط بالواقعية والمماطلة. في القطب الأوّل، تبدو قضية حصول المضارّ في التّربية الدينيّة ناشئة عن الأفراد الخاضعين لهذه التربية يرفعون شعارات دينية سامية من دون أن يوفّروا في أنفسهم القدرة علىٰ تصوّر وتحقيق المعايير التي يتطلّبها تحقيق تلكم الشّعارات، ومن هنا؛ ستكون كتلة هذا الحمل الثقيل مستنفذاً لطاقاتهم. وفي القطب الثاني: ستجسّد المماطلة والتساهل واللّامبالاة إزاء الشعارات والأهداف السامية؛ وجهاً آخر في هجوم المضارّ.. فالتساهل واللامبالاة يطرد الجدّيّة العمل والجهاد عن ساحة التربية، وبهذا؛ ستتحوّل الحركة المطلوبة إلىٰ مقتل للطاقات والقابليّات، في حين أنّ اللّامسؤولية واللّامبالاة عنصر غير منتج وغير بنّاء...

وحالة السّلامة في هذا المحور، التصرّف الواقعي، وهو متفاوت عن المماطلة والبحث عن الكمال غير الواقعي.. إذ الكمال لدىٰ الفرد يجب تقصّيه بما يوازي حدود و سعه، فيغمض عمّا هو أكبر وأبعد من الوسع والمكنة... و تفاوت ذلك عن اللّامبالاة وعدم تحمّل المسؤولية، أنّه لا يتناسىٰ ولا يغفل عن المبادئ والشعارات الحقّة وقد وصف النبيّ الاكرم صلّى الله عليه وآله شريعته المقدسة بـ (السهلة السمحاء) ورسم شيئاً من دوره كمتسامح في الغالب...

وبتفعيل دائرة و إطار هذا المحور فيما يرتبط بالعقيدة المهدويّة لابد من الحديث عن ثنائيّة التعرض للضرر، أي: البحث عن الكمال، وهو غير الواقعية والمماطلة واللّامبالاة. ثم نجعل من التساهل مورداً للبحث في القطب الأول من الضرر، ينبغي - بدءاً - عن التساؤل أدناه، وهو:

كيف يتجلّى البحث والنهالك على تحصيل الكمال (دون الواقعية) في ساحة التربية المهدويّة؟ أنّ خلفية وأرضية هذا الأمر هي أنّ الإمام المهدي الموعود عليه السلام هو المتصدّي لرسالة عظيمة، وإنّ الجهد الواسع والشامل علىٰ صعيد العالم لغاية إزاحة الظلم والجور

وتقعيد ونشر الحق والعدل، هو جهد ومشروع عظيم جدّاً لأنّه يستلزم استرجاع القدرة والسلطة في ايدي المدّعين الكاذبين... ومن هنا، فإنّ الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه سيواجه مقاومة شديدة.. ممّا يضطرّه إلىٰ خوض حروب شرسة جدّاً... وهذه النقطة طالما تناولتها جملة كثيرة من الأحاديث والروايات، وأدناه نشير إلىٰ نموذج منها:

قال المفضّل بن عمر: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما علامة القائم ؟ قال: «إذا استدار الفلك فقيل: مات أو هلك؛ في أيّ وادٍ سلك؟ قلت: جعلت فداك! ثَم يكون ماذا؟ قال: لا يظهر إلّا بالسيف»[1]

وعن أبي بصير قال: سمعت أباجعفر الباقر عليه السلام يقول: «.... ويضع السيف علىٰ عاتقه ثمانية أشهر هرجاً هرجاً حتىٰ يرضىٰ الله....»[2]

إنّ جعل هذه المسؤولية الثقيلة والخطيرة علىٰ عاتق الإمام المهدي عجّل الله تعالىٰ فرجه الشريف سيصعّب المهمّة علىٰ أتباعه لاريب... فالله عزّوجّل لا يقدّر الأمر في أن ينبري الإمام ويبادر إلىٰ إنجاز المهمة المصيرية بمفرده أو أن ينجزها مستعيناً بالمعاجز والمدد الغيبي فحسب، بل التقدير الإلهي تمخّض عن أنّ البشر لابدّ وأن يساهموا في إنجاز هذه المهمّة الجليلة ويدلوا بدلائهم ضمن هذا الانقلاب و رسم مصيرهم التاريخي العديد، فيكون لهم دورهم المرسوم والمميّز.... وعلى أيّ حال؛ إنّ ثَمّ مَن يعدّون أنفسهم للمشاركة في الإنجاز هم دَور القابليات العظمىٰ.. ولهذا؛ فقد ذكرت لهم - أنصار الإمام وأعوانه - صفات فذّة، كما ورد وصف شجاعتهم في رواية الفضيل بن يسار عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «... و رجال كأنّ قلوبهم زبر الحديد...»[3]

وكذا في رواية أبي الجارود نقلاً عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: قال لي: «...إذا سمعتم به؛ فأتوه ولو حبواً على الثلج».[4]

---

١. النعماني، ص٢٢٥

٢. النعماني، ص٢٣٩

٣. بحار الأنوار، ج١٣، ص١٨٠ نقلاً عن تاريخ ما بعد الظهور، للصدر، ص٣٤٨ -٣٤٩

٤. النعماني ص٢٢٢.

وهذا حاكٍ عن أنّ أنصار الإمام الحجّة عليه السلام لا تعرف قلوبهم الملل ولا أبدانهم التعب، حتىٰ أنهم ليصلون إليه بالحالة المذكورة..

إنّ الالتفات إلىٰ هكذا غاية سامية في المسألة المهدوية هو بمثابة الأرضية لطرد الضرر التربوي الصادر عن طلب الكمال غير الواقعي.. وإنه ليتجلّى هذا الضرر بحيث يغفل المربّون، و من دون الالتفات إلىٰ ساحة الفهم والعمل لدىٰ الأفراد، فيحفزوهم منذ البداية إلىٰ فتح هذه القمّة العظيمة السامقة، ممّا ينتجّ عنه إعراضاً كلّياً عن المراد والمقصد.... وهذا الحال التربوي - بطبيعة الحال - مناقض للغرض، وذلك أنّ استدعاء الأفراد إلىٰ الكمال يتمّ تحت عنوان إخراجهم من وضعهم الحالي والأخذ بأيديهم إلىٰ النقطة الأبعد والأعلىٰ.. ولكن حين يحصل هذا الأمر بصورة غير واقعية، سيجد الفرد نفسه منصرفاً بعيداً عن أصل الحركة.. فيما المربّي يلزمه أن يعلم بأنّ ما كلّ شخص قد صنع لهذه الغاية وليتمكّن من أن يكون من أنصار الإمام الحجة عليه السلام الخاصّين، كما لا يمكن إجلاس الجميع إلىٰ القمة... وبهذا الحال؛ ليس الأمر مفضٍ إلىٰ القول بأنّ هكذا أفراد لا مكان لهم في هذه القافلة المديدة في نصرة الإمام المهدي عليه السلام.

وفي القطب الثاني؛ وفي النقطة المقابلة لطلب الكمال، تقف نقطة المماطلة.. والمماطلة في المساحة المهدوية تتّضح حين لا مجال لها في ذهن وضمير الفرد، و بالتبع لذلك ليس هناك من دور لها في التغير الشخصي فيه.

وبعبارة أخرىٰ؛ في هذا القطب تساق المسألة المهدوية في المنظومة التربوية الدينية إلىٰ زاوية التغافل أو الغفلة، ولا يكون لها أيّ دور في تيار التربوية الدينية.

وقد أشير في شطر من الروايات إلىٰ هذه القضيّة، وكيف أنّ بعض الناس يطوون المسالة المهدوية في غياهب النسيان والغفلة بحيث يتملّكهم العجب في وقت الظهور.. وكمثال ما روى النعمانيّ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن القائم إذا قام؛ يقول الناس: أنّىٰ ذلك وقد بليت عظامه؟!»[1]

إن طرد المضارّ بالمماطلة يتجسّد في أنّ دور التربية في خضم الأهداف، إذ أنّ كلّ

١. الغيبة للنعماني، ص٢٢٢ - ٢٢٣

غاية تتناسب وخصائصها وتتشكّل في قابليات محدّدة، والمماطلة إزاء كلّ غاية لها سهم في التربية وتتمثّل في مساحة هذه التربية. والمهدويّة كإحدىٰ أكبر الغايات الدينية وأكثر حيويّة، وذلك أنّها تجعل ألافراد في آفاق الارتباط بالأحداث و الوقائع؛ بل وتجعلهم في مقدّمتها.. وبالنظر إلىٰ أنّ المهدوية وعموم قضية الظهور المهدوي غير محدّدين وغير مؤطّرين بوقت معيّن، وأنّها يمكن حدوثها في كلّ آنٍ، فإنّ الأحداث المرتبطة بالمستقبل، لها دورها في تكريس الطاقات المميّزة وفيما يرتبط بإعداد وتهيئة الأفراد..

فالمهدويّة في خضمّ هذا الطراز من الوقائع أمرٌ متعلّق بالمستقبل.. وهي أحدىٰ أهمّ وأبرز هذه الوقائع.. لحدوثها في أوسع وأشمل المساحات، أي أنها تشمل أكبر مساحة بشرية - على صعيد الزمان والمكان.. ولأنّها تمثّل النقطة الأكثر إشراقاً في التاريخ والوجود البشري ومنتهاه.. فإنّ المماطلة إزاء المهدوية وفيما يرتبط بالبعد التربويّ الديني، فهي بمنزلة التفريط بهذا التأثير العظيم وفي إحداث الانقلاب الأكبر في شخصية الأفراد.

وفي النقطة المتوسّطة بين القطبين المذكورين آنفاً، تكون حالة السلامة عبارة عن المماطلة. وإنّ التساهل بعيد عن معايب القطبين معاً، أعني طلب الكمال (بغير الواقعية) و المماطلة واللامبالاة، وذلك أنّه في الوقت الذي تكون الغاية هي الكمال غير الواقعي، فإنّ وسع الفرد وطاقته يتمّ تجاهلهما..

في التربية المهدوية ينبغي أن يكون التساهل كشاخص محدّد.. وفي المماطلة يلزم أن تكون المماطلة بحدود مساحة القابلية الإدراكيّة والعمليّة للفرد، ثمّ بالنظر إلىٰ هذه المساحة والحدود يتمّ تسهيل حركته.

وقد قال أميرالمؤمنين عليه السلام في موعظته لحذيفة بن اليمان رضوان الله عليه و ضمن رواية طويلة ذكر فيها المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف: «.... يا حذيفة ! لا تحدّث الناس بما لا يعلمون؛ فيطغوا ويكفروا، إنّ من العلم صعباً شديداً محمله، لو حملته الجبال عجزت عن حمله. إنّ علمنا أهل البيت سينكر وتقتل رواته...»[1]

١. العيبية للنعماني، ص٢٠٣

في هذه الرواية جرىٰ التأكيد علىٰ وسع فهم ومعرفة الأفراد، وجرىٰ التصريح بأنّ تجاهل ذلك - مراعاة قابلية الأفراد - موجبٌ للإعراض؛ بل والطغيان والتمرّد والكفر.. وتبعاً للوسع في الفهم، يلزم مراعاة ودراسة الوسع العملي ومدىٰ طاقة الأفراد لدىٰ تحميلهم التكاليف.. جدير ذكره؛ إنّ من الأنصار المقرّبين من الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف مَن لهم وسع وطاقة أكبر من غيرهم من الأنصار، ولكن كلاًّ منهم سيعمل حسب وسعه و قابليّته.. وقد ورد في حديث تناول وصف أصحاب الإمام المنتظر عليه السلام القول أدناه:

«ورجال كأنّ قلوبهم زبر الحديد؛ لا يشوبها شكٌّ في ذات الله؛ اشَدّ من الجمر، لو حملوا علىٰ الجبال لأزالوها، لا يقصدون براية بلدةٍ إلّا أخربوها، كأنّ علىٰ خيولهم العقبان، يتمسّحون بسرج الإمام عليه السلام؛ يطلبون بذلك البركة، ويحفّون به؛ يقونه بأنفسهم في الحروب ويكفونه ما يريد. فيهم رجال لا ينامون الليل؛ لهم دويٌّ في صلاتهم كدويّ النحل، يبيتون قياماً علىٰ أطرافهم ويصبحون على خيولهم، رهبانٌ بالليل ليوثٌ بالنهار»[1]

والسيد محمد الصدر في شرحه هذا القسم في الرواية قال: إن هذه القابليّة العظيمة - العبادة في اللّيل والقتال و جهاد الأعداء في النهار - متوفّرة فحسب في بعض أنصار الإمام الحجة عليه السلام.. ولكنّ الكثيرين منهم يهتمّون بالقتال والجهاد الواجب في النهار، ثمّ بسبب ما يصيبهم من التعب الشديد يؤون إلىٰ فُرُش نومهم ويتركون صلاة الليل المستحبّة، وذلك أنّ قابليتهم لا تمتدّ إلىٰ العبادة في الليل والجهاد في النهار.. وعليه؛ فإنّ أنصار الإمام المهدي عجّل الله فرجه علىٰ شكلين؛ الذين يتهجّدون، والذين لا يتهجّدون، مع أنّ الشكلين يتشابه أفرادهما في القتال وجهاد العدوّ.. وهذا التقسيم قد كان مشهوداً معروفاً عن بعض اصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله، ففضلاً عن المنافقين منهم، إلّا أنّ المؤمنين منهم؛ كان منهم يتهجّد في الليل و يقاتل في النهار، كما كان منهم مَن يكتفي بالقتال في النهار، وذلك طبقاً لقابلية كل منهم، وقد أشار القرآن المجيد إلىٰ هذه النقطة بقوله العزيز: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾[2]

---

١. بحار الأنوار، ج١٣، ص١٨٠، نقلاً عن (تاريخ ما بعد الظهور) ص٣٤٨ - ٣٤٩

٢. المزمل: ٢٠

مع أنّ كثيراً من الأصحاب كانوا متشابهين في الشجاعة والتحمّل لأذى قريش وغيرها، ولكن فريقاً فى منهم، يعني المسلمون قبل الهجرة كان منهم من يتهجّد في الليل مع البني صلوات الله عليه وآله..[1]

وبالنظر إلىٰ وسع وقابليّة الأفراد في دائرة الفهم والعمل، بإنّه يكون بمنزلة حفظ حراكهم المستمرّ في طريق التربية والتحوّل، مع أنّ مراعاة وسع الفرد الضعيف يوجب حرصه علىٰ أداء دوره بما يسعه في إطار التمهيد لظهور الإمام الحجّة عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف، إلّا أنّ تجاهل وسع الفرد المتوسّط والجيد القابليّة من شأنه أن يبعده عن هذا الطريق وأداء هذا التكليف...

المصادر

١. القرآن الكريم

٢. باقري خسروي، (آسيب و سلامت در تربيت ديني)، تمّ تقديمه في ملتقىٰ معرفة المضارّ التربوية الدينية، وزارة التربية والتعليم، ١٣٨٠ ش.

٣.الصافي الكلبايكاني، لطف الله، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، قم، مؤسسة السيدة المعصومة، ١٤٢١ ق.

٤. الصدر، السيد محمد، تاريخ ما بعد الظهور، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤١٢ ق.

٥. النعماني، محمد، الغيبة، ترجمة جواد غفاري، طهران، كتابخانه صدوق، ١٣٦٣ ش.

١. تاريخ ما بعد الظهور، ص٣٥١ – ٣٥٢ .